النعرة القومية في الخطب الجنائزية لبريكليس عند ثوكيديديس

د/ أميرة قاسم الحدينى

أستاذ مساعد كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثة دراسة النعرة القومية في الخطب الجنائزية لبريكليس عند ثوكيديديس، وتعد الخطبة الجنائزية أحد أنواع الخطب التي كان يستخدمها السياسيون والعسكريون، وتعتبر مدينة أثينا من أكثر المدن اليونانية ممارسة لهذه الطقوس الجنائزية، لدرجة أنه من الجائز القول بأن هذا النوع من الخطب كان إبداع أثيني.

وتناولت هذه الدراسة واحدة من أشهر الخطب الجنائزية وهي خطبة بريكليس (ثوكيديديس) والتي دار الجدل بين الباحثين لتحديد العلاقة بين عرض ثوكيديديس لخطبة بريكليس وإلى أي مدى يمكنه مطابقة تلك الكلمات لبريكليس مع ثوكيديديس، وإلى مَنْ تُنسب هذه الخطبة، وكذلك ما هو الغرض من استخدام القائد والسياسي البارز بريكليس للخطب الجنائزية، واعتمدت الباحثة على اختيار نماذج بعينها من خطب بريكليس الجنائزية وتحليلها لإظهار إلى أي مدى وصلت النعرة القومية عند بريكليس والتفاخر بدولة أثينا والمواطنين الآثينيين، والوصول إلى النتائج التي ترتبت على استخدام بريكليس لهذا النوع من الخطب، وكيف أنها ساهمت بشكل سريع وملحوظ في سقوط نظام دولة المدينة، وهناك بعض الاستنتاجات التي توصلت لها الباحثة في نهاية هذه الدراسة، والإشادة التي اختتم بها ثوكيديديس كتابته لخطاب بريكليس والتي ذكر فيها أنه بعد وفاة بريكليس عرضت صحة أحكامه (أقواله) وهو ما يبدو كما لو أنه تقييم من ثوكيديديس لبريكليس والتي يظهر فيه النظرة الإيجابية لهذا القائد.

الكلمات الرئيسية:

الخطب الجنائزية– النعرة القومية – أثينا– الحروب البلوبونيسية– بريكليس– ثوكيديديس

مقدمة:

الخطبة الجنائزية باليونانية (ἐπιταφος λοὸγὸς) هي كلمات صورية كانت تقدم في المناسبات الجنائزية التي كانت تشتمل على ممارسات معينة تهدف إلى تذكر الموتى الشهداء بأعمالهم وآثارهم وتشتمل على صلوات وطقوس تكريمًا لهم.

كانت أثينا بوجه خاص هي أكثر المدن اليونانية ممارسة لهذه الطقوس الجنائزية، بل إنه يمكين القول بأن الخطب الجنائزية هي إبداع أثيني، حيث استخدم الأثينيون هذا النوع من الخطب لتكريم ذكرى هؤلاء الذين حاربوا في المعارك المختلفة دفاعًا عن بلادهم، وقتلوا فيها(١).

وقد أشارت بعض المصادر(٢) إلى أن الخطب الجنائزية يرجع ظهورها بداية من القرن السادس ق.م في أثينا على يد سولون، إلا أن بعض المؤرخين يشككون في هذا بشكل كبير(٣)، لكن الأمر الأكثر منطقية(٤) وبما لايدع مجالاً للشك ذلك التصريح الذي قدمه المؤرخ ديونيسيوس من هاليكارناسوس(٥)، والذي أشار فيه إلى استخدم الأثينيين لهذا النوع من الخطابة لتكريم أولئك الذين حاربوا في العديد من المعارك مثل سلاميس وبلاتيا، وماتوا فداءً لبلادهم، ويعتقد المؤرخون المحدثون أن تلك الخطب الجنائزية ترجع إلى عام ٤٧٠ ق.م، وهي عادات استمرت خلال فترة بريكليس، وهناك إشارة إلى أن الضحايا الذين ماتوا وهم

(١) Loraux. Nicole, (1986), The Invention of Athens: The funeral Oration in the Classical City, Harvard University Press, p. 3.

(٢) وردت الإشارة عند أناكسيمينيس لامبساكوس إلى بداية ظهور الخطابة الجنازية في أثينا على يد سولون. راجع:
Anaximenes, frag. 44.

(٣) James. P. Sickinger, (1999), public record and archives in Classical Athens, p. 30.

(٤) Steven usher, (1999), Greek History Oratory: Tradition and Originality, Oxford. Univ. Press, p. 349.

(٥) راجع: Dionysius of Halicarnasus, Ant. Rom. V. 17.2-4.

يقاتلون من أجل مدينتهم في سنة معينة إلى ٤٩٠– ٤٨٠ ق.م بمعركة ماراثون(١)، حيث نجد تصويرًا للمشاهد الجنائزية حوالي عام ٤٧٠ ق.م. ومن أشهر تلك الخطب الجنائزية على الإطلاق مما حفظ لنا خطبة بريكليس(٢).

لقد ثار خلاف وجدال طويل من المؤرخين حول العلاقة بين عرض ثوكيديديس لخطب بريكليس عام ٤٣١ ق.م، والذي يُفهم عادة على أنه عمل ثوكيديديس أكثر منه عمل بريكليس، وقد ذكر ثوكيديديس تقديمًا لخطب جنازة بريكليس بوصفها أقدم المرثيات المقدمة بالكامل(٣).

لقد توقف المؤرخون طويلاً أمام تلك الإشكالية التي تتعلق بصحة نسبتها إلى بريكليس أو ثوكيديدس(٤)، وفي هذا الصدد فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الخطب الجنائزية تتطابق حرفيًا مع كلمات بريكيليس التي قالها بالفعل عام ٤٣١– ٤٣٠ ق.م(٥)، وإلى وإلى أي مدى يمكن مطابقة كلمات بريكليس هذه مع ثوكيديديس، علمًا بأن بريكليس ألقى هذه الخطب عند نهاية السنة الأولى من الحروب البلوبونيسية عام ٤٣١– ٤٣٠ ق.م تكريمًا لذكرى هؤلاء الجنود الذين قتلوا في الحرب، وضحوا بأرواحهم فداءً لأثينا، وهو ما كتبه ثوكيديديس في كتابه (تاريخ الحروب البلوبونيسية(٦).

---

(١) Keesling. C., (2012), The marathon Casualty List from Eualoukou and the Plinthedon Style in Attic inscriptions, Zeitschriftür papyrologie und Epigraphik, vol. 180, pp. 139- 148.

(٢) Loraux. Nicole, (2024), The Athenian Funeral Oration, Cambridge Univ. Press, p. 374.

(٣) Thucydides, II, 35- 46; Cartwright. David, (1997), A historical Commentary on Thucydides, University of Michigan Press; Loraux. Nicole, op. cit., p. 419.

(٤) Henry Mills Alden, (1892), Funeral Orations in Stone and Word, New Monthly Magazine, vol. LXXXV, June to November, New York, Harper's & Brothers Publishers, Univ. of California, p. 11.

(٥) James. A. Colaiaca, (2001), Socrates Against Athens, Philosophy on Athens Trial, Routledge (UK), p. 75.

(٦) Sheer. Julia. L., (2013), "Their memories will never Growold": The Politics of Remembrance in the Athenian Funeral Orations, "The classical Quarterly", 63 (2), pp. 511- 536.

وقد قام ثوكيديديس في كتابه بوصف طقوس الجنازة بالتفصيل وأشار إلى أن "الموتى يدفنون في المقابر العامة في أجمل ضواحي المدينة، حيث يُدفن دائمًا من يسقطون في الحرب". وهناك يوجد نصب تذكاري لجميع الأثينيين الذين سقطوا في المعركة(١). باستثناء أولئك الذين حاربوا في ماراثون(٢).

على الرغم من أن ثوكيديديس سجل خطابه بصيغة المتكلم كما لو كان تسجيلاً لما قاله بريكليس كلمة بكلمة، إلا أنه لايوجد شك في أنه قام بتحرير الخطاب، حيث يقول ثوكيديديس في وقت مبكر من تاريخه إن الخطب المقدمة ليست سجلات حرفية، ولكنها تهدف إلى تمثيل الأفكار الرئيسة لما قيل، وما كان وفقًا لثوكيديديس(٣) – فمن المؤكد أن بريكليس ألقى خطابًا في نهاية السنة الأولى من الحرب، ولكن إلى أي مدى تشابه ذلك الخطاب الذي سجله ثوكيديديس مع خطاب بريكليس الفعلى(٤).

وهناك نقطة أخرى قد تكون مربكة بعض الشيء فمن المعروف أن بريكليس ألقى خطبة جنائزية أخرى عام ٤٤٠ ق.م خلال الحرب السامية(٥)، من الممكن أن تكون عناصر كلا الخطابين ممثلة في نسخة ثوكيديديس، ومع ذلك كان ثوكيديديس دقيقًا للغاية في توثيقه.

ونلاحظ أن ثوكيديديس عندما بدأ سرد خطابه بدأه بقوله: "تحدث بريكليس "بن زانيثيبوس" بهذه الطريقة":

" περι κλῆς ὃ ανθίππου…. ἐπεγετοιάδε…"

ولو أنه كان ينقل الكلام حرفيًا لكتب (هذا أو "هذه الكلمات" "τάδε" بدلاً من (مثل هذا أو مثل هذه الكلمات) (τοιάδε)، وعلى الرغم من المحاولات لإثبات نسبة الخطاب لأي من ثوكيديديس أو بريكليس إلا أنه لايزال حتى الآن إثبات مدى التطابق بين ما قاله بريكليس

---

(١) Thucydides, II. 34.

(٢) Pausanins, Description of Greece, 29. 4.

(٣) Thucydides, I. 22. 7.

(٤) Zilokowski, E, John, (1981), Thucydides and The tradition of Funeral Speechs at Athens, Arno Press, p. 25; Loraux, Nicole, (1986), The Invention of Athens, p. 3.

(٥) Plutarch, Pericles, 28. 4.

وقد وردت الإشارة عن الكاتب (Stesimbrotus)، أن بريكليس قد أشار لهؤلاء الذين سقطوا في الحرب السامية بأنهم أصبحوا خالدين كالآلهة. راجع:

Ziolkowski, E. John; op. cit., p. 25.

مع ما كتبه ثوكيديديس لغزًا، إلا أننا يمكن أن نخلص من ذلك بالقول أنه يكاد يجمع الباحثون على أن ثوكيديديس وضع هذه الخطب بكلمات، وأسلوب، وصياغات بريكليس نفسه، وأنه (ثوكيديديس) استكملها بروايته التاريخية.

سوف تعتمد الباحثة على اختيار نماذج بعينها من خطب بريكليس الجنائزية للوقوف على هذه النقطة البحثية، وإظهار النعرة القومية التي كانت تتميز بها هذه الخطب، والوصول إلى النتائج التي ترتبت على استخدام هذا النوع من الخطب من قبل رجال السياسية (الدولة) والقادة العسكريين، وتأثيرها على المواطن الآثيني وعلى نظام دولة المدينة بوجه عام.

وقبل أن أتناول هذه النماذج بالتحليل سوف أتحدث في البداية عن الهدف الذي من أجله لجأ بريكليس (ثوكيديديس) لكتابة هذا النوع من الخطب.

أولاً: الغاية (الغرض) من كتابة بريكليس (ثوكيديديس) للخطب الجنائزية:

كان بريكليس سياسيًا وقائدًا إبان العصر الذهبي لأثينا، وقد كان مؤثرًا في السياسة الآثينية خاصة في فترة الحروب اليونانية الفارسية والحروب البلوبونيسية، واستطاع بريكليس بمهارته السياسية والعسكرية تحويل حلف ديلوس إلى إمبراطورية أثينية، حيث قاد المواطنين الأثينيين خلال العامين الأولين من الحروب البلوبونيسية، وتعرف الفترة التي قاد خلالها بريكليس أثينا والتي تمتد تقريبًا من ٤٦١ : ٤٢٩ ق.م باسم عصر بريكليس أو العصر الذهبي لأثينا(١).

وقد روّج بريكليس للفنون والآداب الآثينية، وبفضل جهوده هذه اكتسبت أثينا سمعة كبيرة لتصبح المركز التعليمي والثقافي للعالم اليوناني القديم، كما أنه اهتم من خلال أعماله وخطبه بإظهار مجد أثينا وعظمة المواطن الأثيني(٢).

كما رسخ بريكليس للديمقراطية والحرية الآثينية لدرجة أن النقاد وصفوه بالشعبوي، وقد كان بريكليس ينحدر من أسرة قوية ومؤثرة في تاريخ أثينا(٣).

وترجع الغاية من كتابة بريكليس لتلك الخطب الجنائزية أنه قد ظهر فيها تفاخر بريكليس بأثينا كدولة سواء على المستوى الداخلي، وذلك من حيث التفاخر بالثقافة الآثينية

(١) William. E. Burns, (2010), Speechs in World History, New York, p. 18; David, Konstan, (2018), Roman Comedy, Cornell University Press, p. 18.

(٢) Bloisde, Lukas, (1997), An introduction to The Ancient World, Routledge (UK), p. 99.

(٣) Ruden, Sarah, (2003), Lysistrata, Hackett Publishing , p. 80.

بين دويلات المدن، أو على المستوى الخارجى وهو ما ظهر في التفاخر بالديمقراطية والحرية والتي كانت تمثل محورًا مهمًا في خطب بريكليس، والتي حاول من خلالها إظهار تميز أثينا وتفوقها على كافة دويلات بلاد اليونان، ومن جانب آخر اختفائه بكل مواطن يتقدم لنيل الشهادة من أجل الدفاع عن الدولة الأثينية.

ويتضح جليًا في خطب بريكليس إنها كانت حافلة بالتفاخر بالثقافة الآثينية، وفيها نرى كيف اهتم بريكليس بالتركيز على إظهار مدى تقدم أثينا، وكيف أنها كانت تتميز على كافة دويلات المدن اليونانية، وهو ما ميّز عصره حتى أطلق عليه المؤرخون العصر الذهبي لأثينا، وتقدمت أثينا في هذه الفترة على جاراتها في كافة المجالات كالثقافة والفلسفة والمسرح، الاقتصاد، العلوم، وفي مجال العمارة أيضًا وهو ما تمثل في بعض المبانى الهامة مثل معبد البارثينون ذلك المعبد الذي أظهر مجد أثينا وعظمة أهلها(١). ذلك المعبد الذي كان مخصصًا لعبادة الآلهة أثينا تم تمويله كمبني من أموال فرضها الأثينيون على دويلات مدن أخرى(٢). حيث يظهر على إفريز المعبد تصويرًا للاحتفال الأثيني المعروف باسم الباناثينايا والتي تعني الطقولس المقدسة المتعلقة بالآثينيين(٣). كما تقدمت أثينا على جاراتها من مدن بلاد اليونان حتى على المستوى التجاري، كل ذلك كان يسترعي اهتمام الآثينيين بخطب بريكليس، وشعورهم بالعظمة والتميز على غيرهم من شعوب المدن المجاورة، وهو ما ظهر جليًا في ما سجله ثوكيديديس لما قاله بريكليس في خطبته والتي قام فيها بالإشارة إلى عظمة ومكانة أثينا لدرجة أن المواطن الآثينى يجب عليه الاهتمام ببلده أثينا أكثر من النظر لنفسه بمعنى أن يؤثر وطنه على نفسه(٤).

كان الهدف من خطب بريكليس الجنائزية هي إقناع المواطنين الآثينيين بمواصلة القتال دفاعًا عن القيم الأثينية التي طالما عددها بريكليس على مدار الخطبة بطولها، وإقناعهم

---

(١) Blois de Lukas, (1997), An Introduction to the Ancient World, Routledge, (UK), p. 99; William Burn's, Speechs in World History, p. 18.

(٢) راجع: مجدى كيلاني، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستى، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٣، ص ٨٨؛ راجع أيضًا:

Samans, L. J., (2000), Empire of the Owl, Athenian Imperial Finance, Stuttgart, pp. 41- 50.

(٣) Parker, R., (2002), Athenian Religion, University of Arkansas, p. 91.

(٤) Green. J. R., (2013), Theater in Ancient Greek Society, Taylor & Francis Publishing, p. 63.

من ثم بعدم التردد ولو للحظة في الاستشهاد في سبيل الوطن، لأنه كان يعلي من قيمة الاستشهاد في سبيل القيم الأثينية، ويحدثنا التاريخ عن الامتيازات الفائقة التي كانت تقدمها أثينا لأسر الشهداء على كافة المستويات(١). وهو ما ورد ذكره في خطبة سقراط في محاورة مينكسينوس، حيث يقول سقراط على لسان الشهداء الآثينيين:

" ‘οἱ μὲν πολλοὶ τῶν ἐνθάδε ἤδη εἰρηκότων ἐπαινοῦσι τὸν προσθέντα τῷ νόμῳ τὸν λόγον τόνδε, ὡς καλὸν ἐπὶ τοῖς ἐκ τῶν πολέμων θαπτομένοις ἀγορεύεσθαι αὐτόν. ἐμοὶ δὲ ἀρκοῦν ἂν ἐδόκει εἶναι ἀνδρῶν ἀγαθῶν ἔργῳ γενομένων ἔργῳ καὶ δηλοῦσθαι τὰς τιμάς, οἷα καὶ νῦν περὶ τὸν τάφον τόνδε δημοσίᾳ παρασκευασθέντα ὁρᾶτε, καὶ μὴ ἐν ἑνὶ ἀνδρὶ πολλῶν ἀρετὰς κινδυνεύεσθαι εὖ τε καὶ χεῖρον εἰπόντι πιστευθῆναι. "

"وإننا نتوجه بالرجاء إلى أهل مدينتنا ونحضهم على أن يبذلوا العطاء لآبائنا وأبنائنا إكرامًا لنا، فيقدموا إلى الأبناء تعليمًا لائقًا وإلى الآباء حياة كريمة إكرامًا لشيوختهم، ونحن على يقين تام من أنهم سوف يخصون ذوينا بالعناية دون أن نطلب منهم ذلك".

ويستكمل سقراط حديثه على لسان الشهداء فيقول: "وفيما يتعلق بالرعاية التي يتعين على المدينة أن تكلفها لكم فإنكم تعلمون علم اليقين أن المدينة قد سنت مجموعة من التشريعات تضمن رعاية آباء وأمهات الشهداء. ولقد أصدرت السلطات العليا في الدولة تعليماتها بأن يكونوا الأولى بالرعاية من سائر المواطنين".

ونلاحظ من خلال ما ورد في هذه المحاورة أن مينكسينوس قد اتفق مع ما جاء به ثوكيديديس في خطبته الجنائزية لبريكليس على الجانب التاريخي الذي يظهر الامتيازات التي تقدمها أثينا لأسر الشهداء مع اختلاف الطابع وطريقة العرض والصيانة التي قدمها كل من ثوكيديديس ومينكسينوس حيث إن ثوكيديديس تناول هذا الموضوع بشكل تاريخي مباشر في حين أن منيكسينوس تناوله بشكل فلسفي(٢).

(١) Thucydides, II, 35, 1.

(٢) راجع: مجدى كيلاني، التاريخ والأسطورة في محاورات أفلاطون، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٢، ص ص ٥٣- ٢٥٦.

وتهدف تلك الخطب كذلك إلى منح المواطنين الثقة بأنفسهم، وذلك بتسليط الضوء على عظمة أثينا وحضارتها، وتصويرها كشعلة لامعة، تم تسليمها عبر العصور لتسلط ضوءها على الأجيال التالية لها(١).

كما تشكل كلمات تلك الخطب تعبيرًا قويًا عن واجب كل مواطن في الكفاح من أجل الدفاع عن الديمقراطية (δημοκρατεια) والحرية (ελευθηρια)، وهى الغاية الثانية من كتابة ثوكيديديس للخطب الجنائزية، وهو ما عبر عنه بريكليس.

"μετεστι δὲ κατά μὲν τοὺς νὸμος πρὸς τὰ ἰδιὰ διὰφορα πασι τὸ ἰσον. κατὰ δὲ τὴν ἀζίωσιν,..."

"إذا نظرنا إلى القوانين، فإنها توفر العدالة المتساوية للجميع في اختلافاتهم الخاصة"

حيث يذكر بريكليس الديمقراطية التي تتمتع بها أثينا والتي تميز بين المواطنين على أساس الكفاءة وليس على أساس الثروة أو الطبقة، وإنما يتصرف المواطنون بكل حرية فهم متساوون أمام القانون(٢)، وهو ما لا يوجد في أي دولة أخرى من دويلات بلاد اليونان، لأن معيار الديمقراطية عند أثينا كما أشار إليه بريكليس ويعتمد على كفاءة المواطن وليس فقره أو ثراءه، فالكفاءة هي التي تضمن للمواطن المكانة السياسية والاجتماعية داخل المجتمع الأثيني، وإن كان هذا التفاخر بالحرية يعتبر بمثابة تلميح إلى مزيد من الحرية التي قد تفضي إلى الفوضى السياسية التي يعيشها المواطن الآثيني(٣)، فالحرية بلا ضوابط هي فوضى مقنعة(٤).

ويستطرد ثوكيديديس في حديثه عن الحرية(٥) كقيمة سياسية وأخلاقية واجتماعية ويضيف إلى هذه القيمة عندما ينسبها إلى حكومة الدولة في أثينا، ويبالغ في القوة عندما يذكر أن هذه الحرية تمتد لكي تشمل كل تفاصيل الحياة العادية.

---

(١) Henry Mills Alden, (1892), Funeral Orations in Stone and World, p. 11; Green J. R., op. cit., p. 49.

(٢) Thucydides, II, 37.1.

(٣) Thucydides, II, 39.

(٤) Dick, Haward, (2010), The Primacy of the Political, A history of Political Thought from the Greek to the French & American Revolutions, Columbia Univ. Press, p. 31.

(٥) Thucydides, II, 37.2.

" ἐλευθέρως δὲ τά τε πρὸς τὸ κοινὸν πολιτεύομεν καὶ τὴν πρὸς ἀλλήλους τῶν καθ' ἡμέραν ἐπιτηδευμάτων ὑποψίαν, "

"إن الحرية التي نتمتع بها في حكومتنا تمتد أيضًا إلى حياتنا العادية"

وفي موقف آخر يشيد بريكليس(١) بالديمقراطية الآثينية حين قال: "دستورنا الآثيني لا ينسخ قوانين الدول المجاورة، نحن بالأحرى نموذج للآخرين ولسنا مقلدين". تلك هي الديمقراطية الآثينية التي يتفاخر بها بريكليس والتي استخدم الخطب الجنائزية من أجل إبرازها والدفاع عنها أمام أفراد عائلات أولئك الجنود الذين حاربوا دفاعًا عن أثينا من جانب ومن جانب آخر لتشجيع الآثينيين على مواصلة الدفاع عن مدينتهم (أثينا)، ليس هذا فحسب بل يشترك جميع المواطنين في إدارة الشئون العامة للدولة، فقد كانت السمات العامة لسياسة الدولة الآثينية التي تظهر فيها الديمقراطية بشكل واضح – كما يؤكد بريكليس على ذلك – تلك الملامح (السمات العامة) لهذه السياسة تتمثل في مشاركة الآلاف من الفقراء الأثينيين من القيام بواجبهم نحو مدينتهم؛ فقد كان بإمكان أي مواطن ذكر بالغ فوق سن العشرين أن يشارك في الإدارة والقضاء والمناصب الدينية، وكان يتم انتخاب المسئولين في هذه المناصب بمنتهى الديمقراطية عن طريق القرعة، وهو ما يضمن حصول كل فرد على فرصة دخول الحياة السياسية بغض النظر عن ثروته الخاصة أو حالته المادية(٢).

وهناك سؤال يطرح نفسه في هذا الصدد عن حقيقة تطبيق الديمقراطية بالشكل الكامل لها، كما أكدت عليها خطب بريكليس الجنائزية، والسؤال هو هل كانت الديمقراطية الآثينية عند بريكليس ديمقراطية حقيقية؟

والإجابة عن هذا السؤال تحتمل النفي والإيجاب في الوقت ذاته؛ فإذا نظرنا إلى هذا السؤال من حيث حرية المواطن الآثيني في التصويت في بعض القضايا وإبداء رأيه فيها والاشتراك في العمل العام لخدمة الدولة ومساواتهم (المواطنين) أمام القانون دون النظر إلى مكانة الشخص الاجتماعية أو ثروته والسماح للمواطن بالمشاركة في العملية السياسية.

(١) Thucydides, II, 35-46.

(٢) Dick, Haward, The primacy of the Political, p. 32.

فإن الإجابة على هذا السؤال ستكون بالإيجاب في هذه الحالة يكون بريكليس قد صدق في أن أثينا مارست الديمقراطية بالمعنى الحقيقي للكلمة على اعتبار أن ما تم ذكره يكن النظر إليه أو اعتباره شكلاً من أشكال الديمقراطية.

ومن ناحية أخرى يمكن الرد على هذا السؤال بالنفي، وذلك على اعتبار أن تلك الديمقراطية المزعومة من بريكليس والتي تمتاز بها أثينا عن غيرها من دويلات المدن قد استبعدت عددًا كبيرً من فئات المجتمع الآثيني مثل النساء والمعتقين والأجانب، فعلى الرغم من وجود القوانين التي تضمن العدالة للجميع، إلا أنها من جهة أخرى لا تسعى إلى تحقيق المساواة الكاملة بين المواطنين على كافة المستويات، ومنها على سبيل المثال الجانب الاجتماعي وذلك باستبعاد بعض الفئات وعدم تحقيق المساواة بين المواطنين من جهة أخرى على أساس القبيلة أو العائلة(١)، وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن تلك الديمقراطية لم تكن تشمل كل مواطن أثيني بالمعنى الدقيق للكلمة بل كانت تنطوي على قدر كبير من التمييز بينهم(٢).

وننتقل للحديث عن الغاية (الهدف) الثالثة من كتابة ثوكيديديس للخطب الجنائزية، وهو الاحتفاء بمن يريد الشهادة من أجل الدولة، وهو ما بدأ به بريكليس خطبته؛ فقد قام بمدح الموتى وتكريم هؤلاء الذين حاربوا أو ماتوا من أجل الدولة الآثينية(٣). حيث أشاد بريكليس بشجاعة المواطن الأثيني في حديثه والذي يستطيع مواجهة الكوارث والمحن وهو مواطن يفخر به بريكليس بأنه ابنًا لدولة أثينا التي لم تنجب دولة من دويلات بلاد اليونان مواطنًا مثله في الشجاعة والقوة(٤).

" ξυνελών τε λέγω τήν τε πᾶσαν πόλιν τῆς Ἑλλάδος παίδευσιν εἶναι καὶ καθ' ἕκαστον δοκεῖν ἄν μοι τὸν αὐτὸν ἄνδρα παρ' ἡμῶν ἐπὶ πλεῖστ' ἂν εἴδη καὶ μετὰ χαρίτων μάλιστ' ἂν εὐτραπέλως τὸ σῶμα αὔταρκες παρέχεσθαι. "

(١) Dick, Howard, op. cit., p. 31.

(٢) Andrekos, Varnava, Michael. J. K., Walsh, (2021), After The Armistice Empire, End game and After math, Taylor & Francis Publishing, p. 45.

(٣) Thucydides, 'II, 36.1, 3-4; Pierre Manent, (2013), Metamorphoses of the City, Harvard Univ. Press, p. 46; William. E. Burns, op. cit., p. 18.

(٤) Thucydides, II, 41, 1; Dick Howard, op. cit., p. 31.

"باختصار أقول إننا كمدينة نعتبر مدرسة اليونان، في حين أشك في قدرة العالم على إنتاج رجل، حيث لا يملك إلا الاعتماد على نفسه، يكون على قدر هذا القدر من الطوارئ، ويتمتع بمثل هذه المرونة السعيدة، مثل الآثيني".

ذلك المواطن الذي أشاد به بريكليس أنه اختار الموت بدلاً من العيش خاضعًا(١). كما أنه يعتبر الجنود الذين اختاروا أن يضحوا بحياتهم وكانت عقيدتهم هي النصر أو الشهادة(٢).

" περὶ τοιαύτης οὖν πόλεως οἵδε τε γενναίως δικαιοῦντες μὴ ἀφαιρεθῆναι αὐτὴν μαχόμενοι ἐτελεύτησαν,....."

"هذه هي أثينا التي قاتل الرجال، في تأكيد لها بألا يفقدوها، حاربوا بشرف وماتوا، ومَنْ نجا منهم فهو على استعداد للموت من أجلها".

هكذا أظهر بريكليس نظرة الدولة الآثينية، لمواطنيها الذين يموتون دفاعًا عنها وكيف أنه كان يتحتم على الدولة الآثينية في المقابل الاحتفاء بهؤلاء المواطنين الأبطال الذين فضلوا بقاء أثينا واستمرارها على حياتهم فهم يستحقون التكريم بجدارة على مواقفهم البطولية.

هذا التكريم الذي لايتوقف على خطبة تقال عن شجاعتهم وجرأتهم وتفانيهم في الدفاع عن وطنهم بل إن مكانتهم أعظم من ذلك(٣)، وهو ما عبر عنه بريكليس بإشارته إلى أن سيرة هؤلاء ستظل خالدة، وأنها لا تنسى لمجرد وضعهم في القبور بل إن ما فعله هؤلاء من أمجاد سيظل خالدًا إلى الأبد، ويعلن أنه لا يتحدث عن تلك القبور التي تضم رفاتهم، بل عن ذلك الذي يبقى فيه مجدهم، ويعلن دائمًا وفي كل مكان ومناسبة لأن الأرض كلها قهر لهؤلاء

(١) Thucydides, II, 42. 2,4.

(٢) Thucydides, II, 41.5.

(٣) كان الموت البطولي الذين يموتون فداءً لوطنهم أثينا هو الذي يحدث فرقًا في المجتمع وعن المكانة الاجتماعية لضحايا الحروب في أثينا. راجع:

Lourax, Nicole, op. cit., p. 188.

الرجال المشهورين اللامعين[١]، فهؤلاء لا يتم إحياء ذكراهم من خلال إقامة الأعمدة وعمل النقوش في بلادهم فحسب لكن هناك ذكرى غير مكتوبة لهم ليست محفورة على الحجر بل في قلوب الرجال[٢].

هكذا قدمت خطب بريكليس الجنائزية فكرة الاحتفاء بمن يريد الشهادة من أجل الدولة، وهناك سؤال يطرح نفسه في هذه النقطة عن تصور أو نظرة بريكليس لهؤلاء المواطنين الذين يجب عليهم القتال للدفاع عن مدينتهم.

من خلال ما سبق يمكن الرد على هذا السؤال بأن بريكليس كان ينظر إلى الدافع من وراء تضحية هؤلاء المواطنين بأرواحهم فداءً لوطنهم أثينا بشكل أكثر مثالية فمن وجهة نظره الدافع القوي وراء ذلك هو أنه يجب أن يقع هؤلاء المواطنين في حب مدينتهم، وأن ينظروا لها يومًا بعد يوم حتى يملأ حبها قلوبهم[٣].

"ἀλλα μαλλον την της πολεως δυναμιν καθ' ἠμεραν εργω θεωμενους καὶ ἐραστὰς γιγνομε νους αυτης"

"يجب أن تدركوا بأنفسكم قوة أثينا، وتملأوا أعينكم بحبها يومًا بعد يوم حتى يملأ حبها قلوبكم".

هذا هو ما يجعل الأثينيون يضحون بأنفسهم عن طيب خاطر، وهو ما يصل بهم إلى المجد الأبدي والسعادة التي تعتمد على الحرية وبذلك فإن دفاع المواطن عن وطنه يعد بمثابة دفاعًا عن حريته وسعادته، لذلك فمن الضروري المخاطرة بالموت من أجل سعادة الجميع، تلك كانت فكرة بريكليس الخاصة عن القتال والتضحية بالنفس من أجل الوطن.

بالإضافة لما سبق نلاحظ أن بريكليس تتجنب في حديثه أثناء خطابه ذكر كلمات "الموت"، "يموت" "الجنة"، فيما عدا مرة واحدة عندما استخدم التعبير "الموت غير المحسوس".

"αθαιςθητος θανατος"[٤]

والمقصود بالموت اللامحسوس أنه ذلك الذي يصيب المرء وهو في كامل قوته ودفاعه عن وطنه وعز وطنيته؛ لذلك يقول بريكليس أن التهنئة هي ما يتعين أن أقدمه إلى آباء وأمهات الشهداء وليس العزاء.

---

(١) Maya Feiletomes, Matthew Duquès, (2021), Brill's Companion to Classics in the Early Americas, p. 355.

(٢) William. E. Burns, Speechs, in World History, pp. 19, 20.

(٣) Thucydides, II, 43. 1.

(٤) Thucydides, II, 35-46; Pierre Manent, op. cit., p. 46.

هكذا استخدم بريكليس ذلك القائد اليوناني والسياسي الباز الخطب الجنائزية في التفاخر بالثقافة الأثينية، وتميزها على دويلات بلاد اليونان كلها، واعتزازه بالديمقراطية والحرية التي كانت سمة من سمات النظام الحاكم في أثينا، وهو ما لم يكن متبعًا في سائر بلاد اليونان، والحرية التي مارسها المواطنين الآثينيين والتي وصلت لدرجة شملت كل تفاصيل الحياة العادية، وهو ما انعكس على المواطن الآثيني، الذي كان يدافع عن وطنه بروحه، وهو ما يتطلب الاحتفاء بهؤلاء الذين يريدون الشهادة من أجل الدولة الآثينية.

وبهذه المناسبة يمكن أن نتوقف عند رأي أحد أشهر فلاسفة العصر الهللينستي وهو الفيلسوف أبيقور(١)، والذي كان يحدد من ضمن مبادئه الأخلاقية والسياسية أن الحكيم لا يعمل بالسياسة "οὐδέ πολιτεύεσθαι"، ولا يكون خطيبًا مفوهًا(٢)، "
ουδε ῥητορευσειν καλῶς" وذلك نظرًا لما يتطلبه العمل بالسياسة من مخالفة الشخص لمبادئه وأخلاقه حتى يصل إلى أهدافه واستخدامه كافة الوسائل والسبل للوصول لأغراضه، ومن ضمن هذه الوسائل هي الخطب، وخاصة الخطب الجنائزية.

وسوف تعتمد الباحثة على اختيار نماذج بعينها من خطب بريكليس الجنائزية للوقوف على هذه النقطة البحثية، وإظهار النعرة القومية التي كانت تتميز بها هذه الخطب، والوصول إلى النتائج التي ترتبت على استخدام هذا النوع من الخطب من قبل رجال السياسة (الدولة) والقادة العسكريين، وتأثيرها على المواطن الآثيني وعلى نظام دولة المدنية بوجه عام.

ثالثًا: نماذج من خطب بريكليس الجنائزية تظهر فيها النعرة القومية:

في هذه النقطة سوف أقوم بتحليل نماذج من خطب بريكليس لإظهار النعرة القومية التي كانت تظهر بوضوح في حديثه؛ ففي فقرة من فقرات الخطبة التي تعكس النعرة القومية العالية يقول بريكليس: "دستورنا لا ينسخ قوانين الدول المجاورة، نحن بالأحرى نموذج للآخرين وليس مقلدين لأنفسنا. إدارتها تفضل الكثيرين بدلاً من القلة، ولهذا سميت بالديمقراطية(٣).

(١) وهو ما ورد ذكره في الجزء الأول من كتاب أبيقور "عن أساليب الحياة" (περὶ βίων) راجع:
Dioggenes. Laertius, The Lives of the most eminent philosophers trans. By R.D. Hicks, (L.C.L.), 1925, X, 119.

(٢) Diog. Laert, X, 118.

(٣) Thucydides, II. 37.1.

"ʻχρώμεθα γὰρ πολιτείᾳ οὐ ζηλούσῃ τοὺς τῶν πέλας νόμους, παράδειγμα δὲ μᾶλλον αὐτοὶ ὄντες τισὶν ἢ μιμούμενοι ἑτέρους. καὶ ὄνομα μὲν διὰ τὸ μὴ ἐς ὀλίγους ἀλλ᾽ ἐς πλείονας οἰκεῖν δημοκρατία κέκληται: "

في هذه الفقرة نجد أن بريكليس يشدد على أن الآثينيين هم أول مَنْ وضعوا دستورًا يشير بقوة إلى أنهم (الآثينيين) لم يحاكوا دستورًا صاغته دويلات المدن اليونانية المجاورة، بل هم الذين علموا اليونانيين أصول الدستور.

ثم بعد ذ لك تتعالى النبرة عندما يتحدث عن الديمقراطية واستنادها إلى كفاءة الشخص بقطع النظر عن فقره أو ثراءه (ثروته)؛ فالكفاءة هي التي تضمن له المنزلة وتضمن له المكانة السياسية والاجتماعية داخل المجتمع الأثيني.

" ἐλευθέρως δὲ τά τε πρὸς τὸ κοινὸν πολιτεύομεν καὶ ἐς τὴν πρὸς ἀλλήλους τῶν καθ᾽ ἡμέραν ἐπιτηδευμάτων ὑποψίαν, "

"إن الحرية التي نتمتع بها في حكومتنا تمتد أيضًا إلى حياتنا العادية"(١).

وفي فقرة أخرى عندما يتحدث ثوكيديديس عن الحرية كقيمة سياسية وأخلاقية واجتماعية ويريد أن يخلد هذه القيمة نراه ينسبها إلى حكومة الدولة في أثينا، ويبالغ ثوكيديديس في القول عندما يذكر أن هذه الحرية تمتد لكي تشمل كل تفاصيل الحياة العادية التي يحياها المواطن الآثيني(٢).

وتتصاعد النعرة القومية عند بريكليس في فقرة أخرى(٣)

"ʻξυνελών τε λέγω τήν τε πᾶσαν πόλιν τῆς Ἑλλάδος παίδευσιν εἶναι καὶ καθ᾽ ἕκαστον δοκεῖν ἂν μοι τὸν αὐτὸν ἄνδρα παρ᾽ ἡμῶν ἐπὶ πλεῖστ᾽ ἂν εἴδη καὶ μετὰ χαρίτων μάλιστ᾽ ἂν εὐτραπέλως τὸ σῶμα αὔταρκες παρέχεσθαι. "

(١) Thucydides, II, 37. 2.
(٢) Dick, Howard, op. cit., p. 31.
(٣) Thucydides, II, 41.1.

هنا يتحدث بريكليس عن أثينا باعتبارها الدولة التي علمت بلاد اليونان بأسرها فيقول: "أقولها باختصار أن دولة مدينتنا هي معلمة بلاد اليونان بأسرها ولا أظن أن العالم يمكن أن ينجب إنسانًا يستطيع أن يعتمد على نفسه في مختلف الظروف بنفس القوة ويتميز بتعدد المواهب مثل المواطن الآثيني".

ونقف هنا لتوضيح مدى تأثير خطب بريكليس (ثوكيديديس) في سيكولوجية المواطن اليوناني والمواطن الآثيني على وجه الخصوص.

بالنسبة للمواطن اليوناني نجد مدى التأثير السيئ (السلبي) الذي تركته خطب ثوكيديديس في نفس هذا المواطن، حيث يظهر في حديثه نوع من المَنْ الذي لا يرتضيه المواطنين في دويلات المدن الأخرى، فهو يشير إلى فضل أثينا على دويلات بلاد اليونان بأنها هي المعلمة لكل بلاد اليونان، ومن جانب آخر فإن الحديث ثوكيديديس أثر سلبي كذلك على المواطن الآثيني، وهو ما يرفع من غرور المواطن الآثيني مما يفقده حماسته للعمل لصالح الوطن، أي أنه سيعتمد على ما سمعه من ثوكيديديس في خطبه عن قدرة وعظمة المواطن الآثيني، وبالتالي فلن يكون لديه الحماسة والتطلع للعمل لصالح الدولة الآثينية.

وهو ما يمكن أن نستنتج منه إلى أي مدى كان التأثير السيء للنعرة القومية التي ظهرت بوضوح في خطب ثوكيديديس على سيكولوجية المواطن الآثيني والمواطن اليوناني على السواء.

ويستكمل بريكليس حديثه في بقية الفقرة بشكل لا يقل تصعيدًا للنعرة القومية عن سابقتها (افتتاحيتها) لأنه في رأي الباحثة هذا الكلام يعبر عن تمييز عنصرى صارخ عندما يقول بريكليس أنه يشك في أن العالم يمكن أن ينجب مواطنًا بخصائص المواطن الآثيني يستطيع أن يواجه المحن والكوارث بقوة وصلابة المواطن الآثيني.

وننتقل لفقرة أخرى يظهر فيها تصعيد النعرة القومية عند بريكليس في حديثه عن أثينا وذلك بقوله[١]:

" μόνη γὰρ τῶν νῦν ἀκοῆς κρείσσων ἐς πεῖραν ἔρχεται, καὶ μόνη οὔτε τῷ πολεμίῳ ἐπελθόντι ἀγανάκτησιν ἔχει ὑφ' οἵων κακοπαθεῖ οὔτε τῷ ὑπηκόῳ κατάμεμψιν ὡς οὐχ ὑπ' ἀξίων ἄρχεται. "

(١) Thucydides, II, 41. 3.

"إن أثينا بين كل الدول المعاصرة لها إنما وجدت لكي تكون شاهدًا على أنها أعظم من سمعتها وشهرتها هي ذاتها" – أي مبالغة هذه – ونلاحظ هنا أن بريكليس يتحدث عن أثينا بوصفها أعظم من العظمة".

وتعليقًا على ذلك يمكننا القول إن بريكليس في هذه الفقرة بوصفه أحد رجال السياسة ربما يكون مصابًا بالغرور الذي يصيب السياسيين في بعض الأحيان نتيجة لازدهار الدولة من الناحية السياسية والاقتصادية نتيجة لأنهم يلجأون لهذه العبارات الجوفاء التي تنطوى على مبالغة مفرطة، وهو ما ظهر بوضوح عند بريكليس الذي صور أن أثينا هي أعظم من سمعتها وشهرتها (ἀκοῆς κρείοσσων) وتظهر في قفرة أخرى فكرة النعرة في قوله:

" μετὰ μεγάλων δὲ σημείων καὶ οὐ δή τοι ἁμάρτυρόν γε τὴν δύναμιν παρασχόμενοι τοῖς τε νῦν καὶ τοῖς ἔπειτα θαυμασθησόμεθα, "

"إن الإعجاب بالأجيال الحاضرة والقادمة سيكون من نصيبنا"(١):

أي أن ثوكيديديس يقصد بإشارته هذه أن أثينا لا تمتلك الحاضر فحسب بل أيضًا الأجيال القادمة والمستقبل سيكون لها (أثينا):

ونلاحظ في افتتاحية هذه الفقرة أن المبالغة تعدت الحدود أيضًا فبريكليس لا يقول فقط أن الحاضر الآثيني هو موضع الإعجاب بل إن المستقبل الآثيني بعصوره المتعاقبة والمتتابعة سيكون كذلك موضع إعجاب الجميع.

وتحليلاً لذلك يمكن القول ألا يكفي بريكليس أن يتحدث عن الوقت الحاضر بل إنه يتحدث عن المستقبل مع العلم أننا كدارسين للتاريخ وباحثين فيه نعرف أن دولة المدينة سقطت ولم تستمر كما توقع لها بريكليس في خطابه.

وتتوالى نبرة التعالي للنعرة القومية في باقي الفقرة(٢).

" καὶ οὐδὲν προσδεόμενοι οὔτε Ὁμήρου ἐπαινέτου οὔτε ὅστις ἔπεσι μὲν τὸ αὐτίκα τέρψει, τῶν δ' ἔργων τὴν ὑπόνοιαν ἡ ἀλήθεια βλάψει, ἀλλὰ πᾶσαν μὲν θάλασσαν καὶ γῆν ἐσβατὸν τῇ ἡμετέρᾳ τόλμῃ καταναγκάσαντες γενέσθαι, "

(١) Thucydides, II, 41. 4.

(٢) Thucydides, II, 41. 4.

عندما يقول: "لسنا بحاجة إلى مدح (تقريظ) هوميروس أن الآثينيين لم يتركوا قوتهم وعظمتهم دون شواهد بل يقدمون الشواهد الأكيدة والقوية على تلك العظمة ... لقد فرضنا سيطرتنا على كل بحر وبر (درب) ليصبح ممرًا لجسارتنا".

نلاحظ هنا المبالغة الشديدة في التعبير عن قوة أثينا وعظمتها لدرجة أنها ليست بحاجة إلى مدح هوميروس لها أو حديثه عنها ويمكننا التوقف هنا قليلاً للإشارة إلى أن هوميروس لم يمدح أثينا أو المواطن الآثيني بل كان إذا مدح فإنما يمدح الإغريق بصفة عامة.

لكن هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على المبالغة إظهار النعرة القومية.

وفي موضع آخر من خطبة بريكليس نجده يتحدث عن المواطن الآثيني وشجاعته واستعداده للتضحية في سبيل أثينا فيقول:

" περὶ τοιαύτης οὖν πόλεως οἵδε τε γενναίως δικαιοῦντες μὴ ἀφαιρεθῆναι αὐτὴν μαχόμενοι ἐτελεύτησαν, καὶ τῶν λειπομένων πάντα τινὰ εἰκὸς ἐθέλειν ὑπὲρ αὐτῆς κάμνειν. "

"هذه هي أثينا التي من أجلها حارب هؤلاء الرجال بشجاعة وماتوا في تأكيدهم على عزمهم على عدم خسارتها"(١).

وكأن بريكليس في هذه الفقرة يشيد بالمواطن الآثيني وشجاعته في دفاعه عن أثينا، فهو يحارب من أجل الدفاع فيها ليحصل على النصر أو الشهادة.

واستكمالاً لحديث بريكليس عن المواطن الآثيني وإعلاءً للنعرة القومية في حديثه يقول بريكليس "يجب ألا يخدعكم مواطنون مثل هؤلاء، ولا تغضبوا مني، الذين إذا صوتت للحرب لم يفعلوا إلا ما فعلتموه بأنفسكم"(٢).

" ‘ὑμεῖς δὲ μήτε ὑπὸ τῶν τοιῶνδε πολιτῶν παράγεσθε μήτε ἐμὲ δι’ ὀργῆς ἔχετε, ᾧ καί κὐτοί ζυνδι εγνωτε πολεμειν"

سوف أتوقف قليلاً عند هذه الفقرة لما فيها من قدر كبير من الديماجوجية بمفهوم العصر الحديث للمصطلح واللعب على مشاعر الجماهير والخطاب في الجماهير بما يحبوا

(١) Thucydides, II, 41. 5.
(٢) Thucydides, II, 64. 1.

أن يسمعوا لا يما يجب أن يسمعوا... وفي ذلك إسقاط بدون شك على مواطن عيوب الديمقراطية الآثينية.

ذكر بريكليس أنه إذا اتخذ قرارًا للحرب فإن ذلك سكون بموافقة من المواطن الآثيني نفسه(١)، وكأن قرار الحرب هو قرار كل مواطن أثيني وليس قرار بريكليس وحده، وبالتالي فإن هزيمتهم في الحرب – إذا كان هناك هزيمة – لن تكون مسئوليته (أي مسئولية بريكليس نفسه)، بل ستكون بقرار من المواطن الآثيني نفسه لذلك وجب عليه كمواطن تحمل مسئولية قراره سواء قرار دخوله الحرب أو ما يترتب عليه من تبعات هزيمة كانت أم نصرًا. في هذه النقطة نستعرض رأي الكاتب زيمرن عن شخصية بريكليس رجل الدولة العظيم في أثينا، فهو على الرغم من أنه كان يؤيد السلام إلا أنه اعترف بضرورة الحرب، وهو ما يعني أن قرار الحرب في غالبية الأوقات تبنى على السياسة بمعنى أن السياسة تتحكم في قرارات الحرب(٢).

وفي فقرة أخرى ربما لم تشهد نعرة قومية في فقرات خطب بريكليس كلها مثلها نلاحظ إنه يقول: "تذكروا أيضًا أنه إذا كانت دولة مدينتكم تحمل أعظم الأسماء في العالم فإن ذلك إنما يرجع إلى أنها لم تنحنى للكارثة وأنها قضت أكثر حياتها وأكثر جهدها في الحرب متفوقة في ذلك على كل المدن الأخرى... ويستكمل حديثه قائلاً:

"وسوف يذكر أننا فرضنا حكمنا على معظم المدن اليونانية أكثر من أي دولة مدنية أخرى وأننا خضنا أشد الحرب ضراوة ضد قواتنا متحدة أو منفصلة وعشنا في دولة لا تضاهيها أي دولة أخرى لا من حيث الموارد ولا من حيث العظمة"(٣).

" γνῶτε δὲ ὄνομα μέγιστον αὑτὴν ἔχουσαν ἐν ἅπασιν ἀνθρώποις διὰ τὸ ταῖς ξυμφοραῖς μὴ εἴκειν,"

(١) Thucydides, II, 64. 1.

(٢) Benjamin Earely (2020), The Thucydidean Turn (Re) interpreting Thucydides, Political Thought Before, During and After the Great War, Bloomsburg Publishing, p. 58.

(٣) Thucydides, II, 64. 3.

وتظهر في هذه الفقرة أعلى درجات النعرة القومة عند بريكليس فهو يقول صراحة أن أثينا هي أعظم اسم في العالم – أغلى اسم في الوجود – ولا يوجد تعبير يحمل نعرة قومية أقسى من هذا التعبير الذي يصف فيه السياسى وطنه بأنه أغلى اسم في الوجود.

وعندما يعدد بريكليس أسباب ذلك الوصف يقول إنه ربما يرجع ذلك إلى أن هذه الدولة (أثينا) لم تنحن أمام كارثة أو محنة، كذلك نلاحظ مبالغة بريكليس في التعبير عن النعرة القومية الآثينية بقوله إن أثينا لم تدخر وسعًا في الحياة العامة ولا في الحرب بل بذلت قصارى جهدها في هذين المجالين أكثر من أي دولة أخرى.

كانت هذه نماذج من خطب بريكليس الجنائزية التي كتبها ثوكيديديس وقد أشار في ختام خطابه إلى بريكليس في قوله: "أنه (بريكليس) عاش بعد هذه الخطبة سنتان وستة أشهر وعرفت صحة أحكامه (أقواله) بوفاته (بعد وفاته)" (١).

" ἐπεβίω δὲ δύο ἔτη καὶ ἓξ μῆνας: καὶ ἐπειδὴ ἀπέθανεν, ἐπὶ πλέον ἔτι ἐγνώσθη ἡ πρόνοια αὐτοῦ ἡ ἐς τὸν πόλεμον."

تعليقًا على هذه الخاتمة والتي تبدو كأنها تقييم من ثوكيديديس لبريكليس، وهو ما يمكن أن نستنتج منه (نستدل منه) على أن نظرة ثوكيديديس كانت نظرة إيجابية نحو هذا القائد، وربما أنه كان هناك اتفاق بين رؤية ثوكيديديس وأفكاره، مع رؤي بريكليس، وهو ما يكاد يجمع عليه الباحثون بأن ثوكيديديس وضع هذه الخطبة بكلماته هو، وأنه استكملها بروايته التاريخية.

*** النعرة القومية وعلاقتها بسقوط دولة المدينة:**

بعد الاستشهاد بنماذج من خطبة بريكليس وتحليلها يتضح وبشكل كبير ظهور النعرة القومية، وفي هذا الصدد فإن هناك عدة تساؤلات تطرح نفسها حول النتائج التي ترتبت على استخدام بريكلس لهذا النوع من الخطب، وهل ساهمت خطبه في سقوط دولة المدينة، هل رسّخ بريكليس بخطابه هذا للنزعة الانفصالية بين دويلات المدن اليونانية.

من تحليل النماذج السابقة يمكن ان نصل لبعض الاستنتاجات والردود على تلك الأسئلة، بداية من الملاحظ بشكل واضح من خلال خطب بريكليس أنه استخدم الديماجوجية في الوصول إلى أهدافه السياسية والعسكرية أي أنه كان يخاطب الشعب بما يجب أن يسمع

(١) Thucydides, II, 65.6.

وليس بما هو موجود في الواقع وكانت واحدة من النتائج التى ترتبت على استخدام بريكليس لهذا النوع من الخطب أنها كان لها تأثير سلبي على المواطن الأثيني بشكل خاص والمواطن اليوناني بوجه عام. فقد أثرت النعرة القومية التي استخدمها ثوكيديدس على سيكولوجية المواطن الأثيني حيث أعلت عنده الشعور بالغرور الذي أفقه حماسته في العمل لصالح الدولة الآثينية(١)، وامتد ذلك التأثير السلبي ليصل للمواطن اليوناني الذي استشعر من خطابه بريكليس نوع من المَنْ الذي لا يرتضيه المواطنين في دويلات المدن الأخرى، وذلك عندما أشار بريكليس بأن أثينا هي المعلمة لكل بلاد اليونان وتفاخر به(٢)، وهو ما ساهم في سقوط دولة المدينة.

وهناك نتيجة ثانية من النتائج التي ترتبت على استخدام بريكليس لهذا النوع من الخطب أنها كانت سببًا في ترسيخ النزعة الانفصالية بين المدن اليونانية، وذلك عندما ميّز بريكليس في خطبه بين دولة أثينا والمدن اليونانية، وذكر بأن الحاضر الآثيني هو موضع إعجاب، وأشار الآثينيون الذين تتعدد الشواهد والأدلة على قوتهم في كل مكان(٣)، تلك النعرة القومية القوية تسببت في التفرقة بين أثينا والمدن اليونانية وهو ما أدي في النهاية لسقوط دولة المدينة.

وبهذه المناسبة نذكر رأي الفيلسوف أبيقور أحد أشهر فلاسفة العصر الهللينستي الذي كان من مبادئه الأخلاقية والسياسية أن الحكيم لا يعمل بالسياسة ولا يكون خطيبًا مفوهًا(٤)، وفي تحليل بسيط لهذا الرأي تحاول الباحثة أن تستعين بهذا الرأي في دعم رأيها بأن هذا النوع من الخطاب – والمقصود هنا الخطابة الجنائزية – كان مقدمات لسقوط دولة المدينة.

كل هذه النتائج كانت مقدمات سريعة ترتب عليها سقوط دولة المدينة، فقد كان الشعب الأثيني يسمع لهذه الخطب بما فيها من تعالي لنبرة النعرة القومية وعلى الجانب الآخر لم ير أي إنجازات تتحقق بما يتفق مع هذه الخطب على أرض الواقع، وهو ما تسبب في

(١) Thucydides, II, 41. 3.
(٢) Thucydides, II, 41.3.
(٣) Ibid., II, 41. 4.
(٤) Diog. Laert, X, 118-119.

شعور المواطن الآثيني باللامبالاة تجاه الوطن والغرور والتعالي على مواطني دول بلاد اليونان، وهو ما أدي لانهيار نظام دولة المدينة في أثينا.

مما سبق نصل في النهاية إلى أنه ترتب على هذا الموقف الخطابي والسياسي الواضح في الخطب الجنائزية ما يسمى بالانتكاسة السياسية والأخلاقية، كل ذلك نجد له أصداء حتى في العالمين الحديث والمعاصر(١)؛ فقد احتلت كتابات ثوكيديديس مكانة بارزة في الخطاب السياسي والنقاش أكثر من أي نص قديم آخر، حيث أصبحت تتم الاستشهاد بها في المناظرات السياسية وتحديد العلاقات الدولية، وهو ما كان يستخدمه ثوكيديديس عندما أشار إلى صعود أثينا والخوف الذي غرسه جنودها (جيشها) في أسبرطة(٢).

ويسير موازيًا للنعرة القومية التي تناولها الباحثة في خطبة بريكليس السياسية الآثينية العامة التي انتهجتها أثينا بما يرسخ للنزعة الانفصالية من خلال التعبير عن التعالي والتميز بصفة متكررة، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال وليس الحصر دليلاً على هذا الاتجاه السائد في سياسة أثينا الإمبريالية نحو دويلات المدن اليونانية الأخرى. وهذا المثال هو معبد البارثينون(٣)، نفسه والذي يحتوى في قدس الأقداس (νάος) الغرفة الداخلية للمعبد في العمارة

---

(١) تم استخدام خطب بريكليس الجنائزية من قبل السياسيين، وذلك لما فيها من مثال جيد للخطب الكلاسيكية والتي من الممكن أن ينجح فيها السياسيون في تحويل الحزن العميق الناجم عن ضحايا الحرب إلى مشاعر معتدلة (متزنة) يمكن تنظيمها في العالم. وهو ما استخدمه= =السياسيون في الولايات المتحدة الأمريكية لدفع الماضي القاسي والمستقبل الغامض للولايات المتحدة، وتم استخدام خطبة بريكليس على وجه الخصوص كدليل لإلهام الجماهير من المواطنين لكبح مشاعرهم من خلال نسيان تفاصيل الماضى الفوضوية والعنيفة وتذكر فوائد وامتيازات عظمتهم الوطنية الحالية والمستقبلية. راجع:

Maya Feile Tomes, (2021), Brill's Companion to Classics in the Early Americas, p. 350.

(٢) هذا هو ما استخدمه الكاتب جراهام أليسون في تصويره للعلاقات الأمريكية الصينية، وكيف يمكن الاستفادة من كتابات ثوكيديديس في مناقشة السياسة الخارجية لأمريكا لضمان تجنب الحرب مع الصين. راجع:

Benjamin Earley, op. cit., p. 69.

(٣) Samons, L.J., op. cit., pp. 41- 50;
مجدى الكيلاني: المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، ص ٨٨.

اليونانية) على تمثال الآلهة أثينا، هذا بجانب تصوير احتفالات أعياد الباناثينايا (panathenaea)، والتي كانت تقام كل أربعة أعوام في أثينا ومناسبتها تكريم وعبادة وتقديس الإلهة أثينا الربة الراعية والحامية للدولة الأثينية، بالإضافة إلى أنه كان هناك تكريم أصغر يقام تقديسًا للإلهة أثينا حامية المدينة كل عام.

كلها كانت احتفالات بدولة أثينا ورموز هذه الدولة وطقوسها الخاصة وإبراز نجاحاتها وإنجازاتها، وكان ذلك سببًا مباشرًا في إزكاء النزعة الانفصالية بينها وبين دويلات المدن الونانية الأخرى.

وكان بناء المعبد (البارثينون) نفسه بكل ما يحمله من رموز أثينية قد بنى بطبيعة الحال من الأموال التي كانت تحصلها أثينا بوصفها زعيمة حلف ديلوس من دويلات المدن المنضوية تحت لوائها.

كذلك؛ هل من الديمقراطية أن تدمر أثينا دويلات المدن التي تريد أن تنشق عن حلف ديلوس؟ أليس من بديهيات الديمقراطية حرية الرأي وحرية التعبير وحرية الرفض وحرية القبول؟ أين كل هذه القيم الديمقراطية مما تفعله أثينا نحو من يريد أن ينشق عنها أو حتى من يرغب في أن يكون محايدًا، لا معها ولا مع أسبرطة؟ والأمثلة على ذلك حاولت ناكسوس أن تترك الحلف فيما بين عامي ٤٧٦/ ٤٧٠ ق.م فتعرضت لهجوم أثيني كبير وأرغمتها أثينا بالقوة أن تظل عضوًا من أعضاء الحلف، وحدث الشيء نفسه مع ثاسوس (Thasos) عندما حاولت الخروج عن الحلف في ٤٦٥ ق.م.

كذلك مدينة متيليني (Mytilene) التي رفضت أن تستخدم أثينا حلف ديلوس كأداة لاستعباد وقهر دويلات المدن الأعضاء في الحلف ٤٢٧ ق.م، لقد باءت محاولة متلينى بالفشل وقرر الأثينيون قتل (إعدام) كل رجال مدينة متلينى واستحياء نسائهم وأطفالهم واتخاذهم عبيدًا، لكنها (أثينا) عدلت عن الفكرة وراجعت نفسها غير أنها لم تقبل ببقاء متلينى في الحلف بديلاً.

لكن مجرد التفكير في القتل على هذا النحو من القسوة والعنف دليل على بشاعة السلوك السياسي الأثيني مع الدول الأعضاء في الحلف، وحتى عندما عدلت أثينا عن الفكر لم تعدل عن بقاء متلينى في الحلف.

فهل هذه السياسة الاستعمارية تتفق مع قيم الديمقراطية؟!

الخاتمة:

وفيما يلي تجمل الباحثة نتائج الدراسة على النحو التالي:

أولاً: فيما يتعلق بتغطية نسب الخطب إلى ثوكيديديس أو بريكليس يمكن القول إنه بعد الجدل الذي دار بين الباحثين لتحديد العلاقة بين عرض ثوكيديديس لخطبة بريكليس وإلى أي مدى يمكن مطابقة تلك الكلمات لبريكليس مع ثوكيديديس، وإلى مَنْ تنسب هذه الخطبة؛ فقد أجمع الباحثون في نهاية هذا الجدل على أن ثوكيديديس وضع هذه الخطب بكلمات وأسلوب وصياغات بريكليس نفسه، وأنه (ثوكيديديس) استكملها بروايته التاريخية.

ثانيًا: الغاية من كتابة بريكليس للخطب الجنائزية، فقد كان الغرض من استخدام القائد والسياسي البارز بركليس للخطب الجنائزية هو التفاخر بالثقافة الآثينية بين دويلات بلاد اليونان كلها، واعتزازه بالديمقراطية والحرية التي كانت سمة من سمات النظام الحاكم في أثينا، وهو ما لم يكن متبعًا في سائر بلاد اليونان والحرية التي مارسها المواطنون الآثينيون، والتي وصلت لدرجة شملت كل تفاصيل الحياة العادية للمواطن الأثيني، والغرض الثالث كان الاحتفاء بكل مَنْ يريد الشهادة من أجل الدولة الآثينية.

ثالثًا: وفيما يتعلق بالدستور (ἡ πολιτεία ξ) على وجه الخصوص بلغت النعرة القومية عند ثوكيديدس مداها عندما أنكر أن يكون لدويلات المدن اليونانية أي فضل على أثينا في هذا المجال بل استطرد فقال إننا نحن الأثينيون أول مَنْ وضع دستورًا لم يحاكوا فيه أي دستور آخر صاغته دويلات بلاد اليونان بل إنهم (الأثينيون) هم مَنْ علّموا اليونانيين أصول الدستور.

رابعًا: كان لتصاعد النعرة القومية عند بريكليس تأثيرًا سلبيًا على سيكولوجية المواطن الأثيني والمواطن اليوناني على السواء، وهو ما ظهر من تميز عنصري صارخ وذلك عندما شكك بريكليس في أن العالم يمكن أن ينجب مواطنًا بخصائص المواطن الآثيني، واستمر تصعيد نبرة النعرة القومية عند بريكليس بإشادته بأثينا وأنها لا تمتلك الحاضر فحسب؛ بل أيضًا الأجيال القادمة الأخرى التي ظهرت من خلالها النعرة القومية في خطاب بريكليس.

وترتب على استخدام بريكليس لهذا النوع من الخطب نتائج منها التأثير السلبي على سيكولوجية ليس المواطن الآثيني فحسب، بل على المواطن اليوناني بشكل عام وكنتيجة

ثانية لهذا النوع من الخطب ذو النعرة القومية هو الترسيخ للنزعة الانفصالية بين المدن اليونانية، فأصبح المواطن الآثيني يسمع لهذه الخطب، وعلى الجانب الآخر لم ير أي إنجازات تتحقق بما يتفق مع هذه الخطب على أرض الواقع، وهو ما انعكس على سلوك المواطن الآثيني في صورة من اللامبالاة تجاه الوطن، والغرور والتعالي على مواطني دول بلاد اليونان، وهو ما كان سببًا قويًا في انهيار نظام دولة المدينة.

خامسًا: النظرة الإيجابية لدى ثوكيديديس عن بريكليس كقائد وزعيم أثيني متميز حيث إنه اختتم خطابه بالإشارة بما قاله بريكليس فيها، وذلك بذكره أنه بعد وفاته (بريكليس) عرفت صحة أحكامه (أقواله) فإنما يبدو كما لو كان تقييم ثوكيديديس لبريكليس والذي يظهر وفق لهذه الخاتمة أنه ينظر لهذا القائد نظرة إيجابية.

سادسًا: علاقة خطبة بريكليس وغيره من السياسيين الآثينيين بسقوط دولة المدينة؛ حيث كان لهذا الموقف الخطابي والسياسي مثل هذا التأثير على سقوط دولة المدينة وحدوث ما يسمى بالانتكاسة السياسية والأخلاقية والاجتماعية (وهو ماله دليل تاريخي بالفعل حيث سقوط نظام دولة المدينة في النهاية). وهو ما تدعمه الباحثة برأي أحد أشهر فلاسفة العصر الهللينستي وهو الفيلسوف أبيقور الذي كان من مبادئه الأخلاقية والسياسية أن الحكيم لا يعمل بالسياسة ولا يكون خطيبً مفوهًا

سابعًا: التفوق الآثيني العسكري والاقتصادي، ورد في خطاب ثوكيديديس (بريكليس) الإشادة بصعود أثينا وتفوقها العسكري، وأوضح أن الحرب مع أسبرطة حتمية وأنها حرب وجود بالنسبة للدولة الآثينية وحرب غايتها فرض الهيمنة في المقام الأول، فقد كانت خطب بريكليس حافلة بالإشارات إلى أن أي رضوخ من أي نوع لأسبرطة هو نوع من الاستعباد المرفوض؛ ومن ثم لا يجب على الآثينين قبول أي شرط قد يمليه الجانب الأسبرطي.

كما أشار بريكليس إلى أن الدولة تتقدم على الفرد، ذلك أن خدمة الدولة والدولة ذاتها أهم من الفرد من كافة الجوانب، وتجلت العنصرية الفكرية في أعلى صورها في إشارات بريكليس المتكررة إلى تميز الآثينيين وجدارتهم بقيادة وحكم غيرهم.

قائمة بالمراجع العربية:

- مجدى الكيلاني، (٢٠١٢)، التاريخ والأسطورة في محاورات أفلاطون المكتب الجامعي الحديث.
- مجدى الكيلاني، (٢٠١٣)، المدارس الفلسفية في العصر الهللينستي، المكتب الجامعي الحديث.

قائمة بالمراجع الأجنبية:

- Andrekos, Varnava, Michael. J. K., (2021), After the Armistics Empire, End game and After Math, Taylor & Francis Publishing.
- Benjamin Earley, (2020), The Thucydides Turn (Re) interpreting Thucydides, Political Thought Before, During and After the Great War, Bloomsbury Publishing.
- Bloisde, Lukas, (1997), An introduction to the Ancient World, Routledge (UK).
- Cartwright. David, (1997), A historical Commentary on Thucydides, University of Michigan Press.
- David, Konstan, (2018), Roman Comedy, Cornell University Press.
- Dick, Haward, (2010), The Primacy of the Political, A History of Political Thought from the Greeks to the French & American Revolutions, Columbia University Press.
- Green. J. R., (2013), Theater in Ancient Greek Society, Taylor & Francis Publishing.
- Henry. Mills. Alden, (1892), Funeral Orations in Stone and Word, New Monthly Magazine, vol. LXXXV, June to November, New York, Harper's & Brothers Publishers, University of California.
- James, O. Sickinger, (1999), Public Record and Archives in Classical Athens.
- James. A. Colaiaco, (2001), Socrates Against Athens, Philosophy on Athens Trial, Routledge (UK).

- Keesling. C., (2021), The Marathon Casualty List from Eualoukou and the Plinthe don Style in Attic inscriptions, Zeitschriftür Papyrologie und Epigraphik, vol. 180.
- Loraux, Nicole, (1986), The Invention of Athens: The Funeral Oration in the Classical City Press.
- Maya Feile Tomes, Matthew Duquès, (2021), Brill's Companion to Classics in the Early Americas, Brill's Publishing.
- Parker, R., (2002), Athenian Religion, Univ. of Arkansas.
- Pierre, Manent, (2013), Metamorphoses of the City, Harvard University Press.
- Ruden, Sarah, (2003), Lysistrata, Hackett Publishing.
- Samon, L. J., (2000), Empire of the Owl, Athenian Imperial Finance, Stuttgart.
- Shear. Julia. L., (2013), "Their memories will never Grow Old": The politics of Remembrance in the Athenian Funeral Orations", The Classical Quarterly, 63 (2).
- Stephen. Usher, (1999), Greek History Oratory: Tradition and Originality, Oxford, University Press.
- William. E. Burns, (2010), Speechs in World History, New York.
- Ziolkowski, E. Johns, (1981), Thucydides and the Tradition of Funeral Speechs at Athens, Arno Press.